ملاحم المقاومة في مسرحية (محاكمة الاسم X)

بقلم: معصومة مرعي / إيران

المستخلص:

قضية الشعب الفلسطيني أصبحت قضية كل إنسان واعٍ ولا يمكن غض النظر عنهم، لأن ظروفهم مأساوية تجرح المشاعر فلا بد أن نكتب عنهم بقدر المستطاع. فالأدبية د.سناة الشعلان الفلسطينية قامت بدورها في بث قصص ومسرحيات حول القضية الفلسطينية وحاولت من هذا الطريق تقوم بصراعها السياسي على الكيان الصهيوني وإيقاظ النائمين وفتح فيه الباكمون حول هذه النكبة التي ابتلى بها الشعب الفلسطيني منذ زمان. من قبيل هذه المسرحيات؟؟؟؟، مسرحية «محاكمة الإسم X»، التي أصبحت مبدأ دراستنا في هذا المقال.

ففي مسرحية " محاكمة الإسم X" ندخل قاعة محكمة هزلية تتقلب فيها الأدوار ليصبح البريء متهماً والضحية جلاداً، إنها مأساة الشعب الفلسطيني الذي سرقوا منه أسمه ثم حاكموه على فقدانه، ثم اتهموه بالجنون، وأودعوه في مصحة عقلية. وما إستنتجنا عن هذا البحث هو أعمال أنواع المخانق والظلم من قبل الكيان الصهيوني وعدم الوصول إلى النتيجة المخطط لها بسبب مواجهة الرادع المقاوم الصامد من قبل أبناء شعب الفلسطيني العربي الراسخ في مبتغاه وهو تحرير بلاده من العدو الشرس.

فأخذنا المنهج التحليلي-التوصيفي لدراستنا ومن الله التوفيق.

الكلمات الدليّة: المقاومة، المسرحية، محاكمة الإسم X، د.سنا الشعلان.

المقدمة:

إنّ القضية الفلسطينية قضية شعب يجاهد في سبيل تحرير وطنه وإعادة الحرية إليه وطرد المستعمرين منه؛ وهي من أهمّ القضايا التي حفلت واهتمت المجتمعات والأدباء بها، لاسيّما المسرحيين، فقاموا بتسجيل حضورهم السياسي في هذه الساحة من خلال الشخصيات المسرحية وأقوال المتحدثين عن مأساة الشعب الفلسطيني. ومن هؤلاء الأدباء والمسرحيين الذين قاموا بتبيان هذه القضية المؤلمة وشرح ما عاناه الفلسطينيون من ألم وجراح هي الأدبية والمسرحية الدكتورة سنا الشعلان. مسرحية «محاكمة الإسم X» من المجموعة المسرحية (سلفي مع البحر) للأدبية الشعلان هي موضوع بحثنا في هذا البحث؛ التي أشارت فيها الأدبية على النكبات الواردة على الشعب الفلسطيني من قبل الصهاينة ومقاومة أبناء الشعب أمام هذا الإضطهاد. فهذه الدراسة سعت أن تدرس تجليات القضية الفلسطينية في مسرحية «محاكمة الإسم X» وبيان مظاهر المقاومة التي بذلها أبناء الشعب لتحرير بلادهم من الإستعمار بالقراءة والتدقيق في عناصر المسرحية من الأشخاص والحوارات. فالهدف الرئيسي من اختيار هذه المسرحية للبحث والتحليل هي عدم خضوع الفلسطينيين للظلم ورفض الذلّ ممّا تجلّى في المسرحية. وإتّنا من هذا المنطق وددنا الكشف عن الأسئلة الآتية:

أسئلة البحث:

1. ما ملامح المقاومة في مسرحية محاكمة الإسم "X"؟

2. ما الدوافع التي أدت بأبناء الشعب الفلسطيني للمقاومة في هذه المسرحية؟

ومن خلال البحث في المسرحية نفسها والكتب المخطوطة حول قضية فلسطين المحتلة حصلنا على إجابة لهذين السؤالين، وهما فرضيتا البحث:

فرضيات البحث:

1. ظهرت ملامح المقاومة بشكل النضال والدفاع والجهاد وتحمل المشقات والظلم بتفادي الروح والتبرع بالدم.

2. الدوافع هي حب الوطن والسعي بحفظ عزّة البلد والإكتفاء بالذات، وإحياء الحرية ورفض العبودية وصيانة القبلة الأولى للمسلمين من اليهود.

أمّا بالنسبة إلى خلفية البحث لاحظنا على :

■ المقاومة الفلسطينية في المسرحية العربية لإبراهيم جنداري، كلية الآداب/جامعة الموصل؛ تطرقت هذه المسرحيات على المقاومة الفلسطينية بأسلوب مباشر.

رؤية المقاومة وتشكيلها في مسرح باكثير للدكتور أبوبكر الباكري: يقدم الكتاب نظرة جديدة إلى مسرح الكاتب الرائد على أحمد باكثير الذي عاش في مصر وأسهم في النهضة الأدبية في أوائل القرن الماضي، وبرز إسمه كواحد من أهم كتّاب المسرح في تلك الحقبة، حيث قدّم إلى المكتبة العربية نحو أربعين مسرحية، وقد كانت تلك الحقبة حقبة تحرر ومقاومة للإستعمار وعصر تأجج النضال العربي ضد الصهيونية العنصرية الإستعمارية.

فلا يوجد هناك أي دراسة علمية حول مبحث (ملامح المقاومة في مسرحية "محاكمة الإسم X") الذي قمنا بتحليله.

نبذة عن حياة الكاتبة:

الدكتورة سناء الشعلان أديبة وأكاديمية وإعلامية أردنية من أصول فلسطينية، ومراسلة صحفية لبعض المجالات العربية، وناشطة في قضايا حقوق الإنسان والمرأة والطفولة والعدالة الاجتماعية، تعمل أستاذة للأدب الحديث في الجامعة الأردنية/الأردن، حاصلة على درجة الدكتوراه في الأدب الحديث ونقده بدرجة امتياز، عضو في كثير من المحافل الأدبية والأكاديمية والإعلامية والجهات البحثية والحقوقية المحلية والعربية والعالمية. لها مشاركات واسعة في مؤتمرات محلية وعربية وعالمية في قضايا الأدب والنقد وحقوق الإنسان والبيئة والعدالة الاجتماعية والتراث العربي والحضارة الإنسانية والآداب المقارنة، إلى جانب عضويتها في لجانها العلمية والتحكيمية والإعلامية. هي ممثلة لكثير من المؤسسات والجهات الثقافية والحقوقية، كما أنها شريكة في الكثير من المشاريع العربية والعالمية الثقافية. لها إنتاجات أدبية مهمة كالكتب والمسرحيات والروايات وقصص الأطفال والروايات وإنتاجاتها الإبداعية؛ وترجمت أعمالها إلى الكثير من اللغات، ونالت الكثير من التكريات والدروع والألقاب الفخرية والتّمثيلات الثقافية والمجتمعية والحقوقية. مشروعها الإبداعي حقل

للكتير من الدّراسات النقدية والبعثيّة ورسائل الدّكتوراه والماجستير في الأردن والوطن العربيّ والعالم. بعض من هذه المنشورات هي:

1. الروايات:

- أعشقتني
- السقوط في الشمس
- أركها النسيان

2. روايات الفتیان:

- أصدقاء ديمة

3. المجموعات القصصيّة:

- قافلة العطش
- تاتيل الماء
- الجدار الزجاجي
- حدث ذات جدار
- الذي سرق نجمه
- تقاسيم الفلسطيني
- عام النّمل
- رسالة إلى الاله

- أرض الحكايا
- مقامات الإحتراق
- ناسك الصومعة
- قافلة العطش
- الكابوس
- الهروب إلى آخر الدنيا
- مذكرات رضية
- أكاذيب النساء

4. مجموعات قصصية مشتركة مع أدباء عرب وعالميين:

- مجموعة قصصية مشتركة مع قاصين أردنيين بعنوان "القصة في الأردن: نصوص وروايات
- مجموعة قصصية بعنوان الضياع في عيني رجل الجبل
- مجموعة قصصية مشتركة مع قاصين عرب بعنوان "في العشق".
- مجموعة قصصية مشتركة مع القاصيين أردنيين بعنوان "مختارات من القصة الأردنية".
- مجموعة قصصية مشتركة مع أدباء مصريين مجموعة نجوم القلم الحر في سماء الإبداع.

5. مسرحيات للكبار:

• دعوة على شرف اللون الأحمر.

• صورة (سيلفي) مع البحر.

• محاكمة الإسم X.

• وجه واحد لاثنين ماطرين.

• خرافية سعديّة أم الحظوظ.

6. مسرحيات للفتيان والفتيات:

• السلطان لا ينام.

• اليوم يأتي العيد.

• رحلة مع المعلّمة فرحة.

7. قصص أطفال:

• قصة للأطفال بعنوان "زرياب: معلّم الناس والمروءة".

• قصة للأطفال بعنوان "هارون الرشيد: الخليفة العابد المجاهد".

• قصة للأطفال بعنوان "الخليل بن أحمد الفراهيدي: أبو العروض والنحو العربيّ".

• قصة للأطفال بعنوان "إبن تيمية: شيخ الإسلام ومحبي السنّة..".

• قصة للأطفال بعنوان "العزّ بن عبدالسلام: سلطان العلماء وبائع الملوک".

8. المقالات والنصوص النثرية:

• أبي سيّد الكلمات.

• الذين لا ينامون.

• قالت النساء.

• غصون وتخوم.

• الدرب إليهم.

9. لقاءات حوارية:

• العوافة والجبل.

10. كتب نقدية متخصصة:

• الأسطورة في روايات نجيب محفوظ.

• السرد الغرائبي والعجائبي في رواية والقصة القصيرة في الأردن 1970-2002م.

(د.سناء الشعلان، 2018: 354-356)

أدب المقاومة:

المقاومة هي حق الدفاع عن النفس والأرض والعقيدة والقيم وكان يعبر عنها تراثنا الإسلامي بالجهاد (السيد، د.ت:5) وتتخذ المقاومة أشكالاً متعددة، فكل فعل يعبر في جوهره عن رفض الاحتلال، أو أي تصرف يبدي ممانعة مشروعة، يُعد فعلاً مقاوماً، فقتال المحتل

والتعبئة النفسية ضده ومقاطعته، والعمل السياسي المنظم للمظاهرات والإعتصامات، وعدم المشاركة في مشاريع الإحتلال السياسيّة، ذلك كلّه يعتبر ضرباً من ضروب المقاومة. فيقوم الشعب بالتفاني والتبرّع بالأرواح في سبيل صيانة عزّة البلد وحرّيته من سلطة الإستعمار ويقدمّ قوافل من الشهداء إيماناً بتحريرها. فوجود الإستعمار والحرب في البلد يؤدّي إلى ظهور أدب المقاومة لأن الأديب يعيش في تلك الأجواء إن كان داخل البلد وإن كان خارجاً عن البلد، يشعر بمعاناة شعبه وكلاهما يتأثران بما يتأثر به المواطنون، لهذا تتعكس قضايا المقاومة الشعبيّة في آدابهم من شعر ونثر وقصص وروايات ومسارح وغيرها ويستخدمون ألفاظهم الأدبيّة في مجال تحرير الوطن وإنتصاره.

إنّ الشواء والأدباء لهم نور رائد في يقظة الناس وإستيقاظهم من نوم الغفلة وفتح عيونهم عمّا يسيطر عليهم وعلى أعلى ما لديهم لأنّهم كانوا يصرخون وينددون بأعمال الصهاينة، الأعمال الوحشيّة. « لذلك فالأمم العظيمة عندما تضلّ الطريق، ويتعدّر عليها معرفة السبل للنجاة، تفتش عن أدبائها وشعرائها. فيأتي الأدباء والشعراء في مقدّمة أبناء الأمّة، تحسّساً لمصائبها وهمومها؛ فهذا النوع من الأدب الذي يقوم بالدفاع عن المصالح الوطنيّة سُمّي بأدب المقاومة» (معروف وكياني، 2012م: 32). وأحد رموز المقاومة الفلسطينية الباسلة والتي كانت ومازالت صوتاً مدويّاً ونوراً ساطعاً على الساحة الأدبية والثقافية ضدّ الإحتلال وتبيان القضية الفلسطينية على الساحة العالميّة هي الدكتورة سناء كامل الشعلان حيث نلاحظ في كل أعمالها الأدبية المقاومة الفلسطينية وصورة المقاوم الفلسطيني و هذا ما لاحظناه في مسرحياتها وخاصة مسرحية (محاكمة الإسم "X") التي قمنا بدراسة مظاهر المقاومة فيها.

قضية فلسطين المحتلّة:

إنّ قضية فلسطين هي القضية التي شغلت المحافل العالميّة، لأنّ الإستعمار الصهيوني ارتكب في هذا البلد أسوأ الجرائم من القتل والقمع والتهتك، لذلك أصبح عنجهية القرن

العشرين، فنُدِّدوا بأعمالهم اللاإنسانية وقسوتهم على الفلسطينيين الشجعان وسياساتهم التعسفية. إنَّ الضمير الإنساني ليذمى وهو يرقب هذه المأساة المرّة، وتلك الوحشيّة التي لم يسبق لها مثيل. «وإنَّ الغضب الإنساني ليتفجّر بالغيظ المحموم وهو يرى أرضاً تنتهك حرمانها، وتداس مقدّساتها، ويطرد أهلها، لينعم بخيراتها شذاذ آفاق، من كل جنس ومن غير جنس». (حسن، 1384هـ.ش: 119)؛ لقد عاش الإستعمار ما عاش - منذ كان حتّى الآن - وأساليبه المدمّرة تتعدّد جوانبها ووحشيته القاسية تتال بلا هوادة، وإيذاؤه للأمنين يعجز الوصّاف عن بلوغ مداه، ولكن إرادة الإبادة لشعبه بأكمله، وتشريد أمة بأسرها، لم يكن أمراً متصوّراً، ولم يكن بالأمر الذي يدرك حتّى بالخيال.

فيا: فِلِسْطِينُ لِأَزِيدٍ وَقَاكِ وَلَا عَمْرُو
فَطِيّاً عَلَيَّ يَا سِ قَدَّ قَضِي
الأمْرُ

تَطَاوَلَتِ الْأَعْنَاقُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ لِنَصْرِكِ حَتَّى رَفَرَفَ الْعِزُّ
وَالنَّصْرُ

مَشَتْ مِصْرُ فِي إِنْقَاذِ أَرْضِكِ عُنُوَّةً فَقُلْنَا مَشَى التَّوْفِيقُ لَمَّا مَشَتْ
مِصْرُ (ابن شمس الدين، 1368هـ: 738).

فلاشك سيأتي يوماً وسينتهي هذا الكابوس المؤلم من الشعب الفلسطينيّ المظلوم الباسل فإنَّ الفرج لقريب بإذن الله، ومهما الإسرائيليون قسوا وظلموا وارتكبوا من جرائم، فهم الخاسرون المنغلبون؛ إنَّ الله ناصر المظلومين فبنصره سينصر الشعب الفلسطيني ويكتسب عزّة عالية ولايخذل أمام العدو إن شاء الله.

مظاهر المقاومة في مسرحية محاكمة الإسم "X":

لقد تبلورت مظاهر واضحة المعالم من أدب المقاومة في مسرحية محاكمة الإسم "X" لسناء الشعلان، فهي أديبة فلسطينيّة أخذت على عاتقها الذود عن كرامة وطنها والتصدي

للمحتل الغاصب الذي عاث في بلادها ظلماً وفسقاً من خلال كافة أعمالها الأدبية وخاصة مسرحية محاكمة الإسم "X". وفي مايلي نسلط الضوء على بعض هذه الملامح في مسرحيتها هذه، وسوف نبين مدى نضال وبسالة الفلسطينيين من أطفال وشباب ونساء وشيوخ في النود عن بلدهم وحقوقهم وشوافتهم:

• النضال والدفاع:

ولما التقى الجمعان في حومة الوغى ودارت رحي الهيجاء واستقل الأمر
مشوا مشية الأسد المغاوير للردى وقاموا وفي المعمور قام لهم نكر
فما بسموا للنصر حتى تجهموا عوابس يعرفهم من اليأس مايعرو (ابن شمس
الدين، 1368هـ: 738)

يقول الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز: « وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ » (سورة الحج: 78). لانزال مفهوم الجهاد يثير العديد من المشاكل والتساؤل، خاصة من جهة تطبيقاته في ظل الثورة. وهو السبيل الوحيد لإنقاذ فلسطين من براثن الصهاينة. الشعب الفلسطيني الذي عرف بعمق ارتباطه بالإسلام عبر عن ثورته ومشاعره من خلال الصياغات الإسلامية ومفهوم الجهاد وهم أي المجاهدين قد باعوا أنفسهم لله وخرجوا في طاعته وتسابقوا إلى ميدان الجهاد والشهادة إنتصاراً للحق وإقامة للعدل ودفاعاً عن أمتهم الكريمة وبلادهم المقدسة، فقد فارقوا في سبيل ذلك أهلهم وتركوا أموالهم وعطلوا مصالحهم. ونجد هذه الروح الثورية في عمق مسرحية محاكمة الإسم (X). نشعر بتحنث كاتبة المسرحية لأبناء شعبها إلى الثورة والنضال وتؤكد إن لم تجن الآمال إلا بالنضال فلا بد من النضال للوصول إلى الآمال. ويبرز هذا النضال في كيفية إرتداء

الممثل بلباس شبه عسكري والحوار الذي دار بينه وبين المدّعي العام الذي يصور في مخيلتنا النشاط النضالي عندما يسأله عن إسمه ومهنته ومكان سكنه ويجيبه بفخر وثقة: «إسمي X وعمري 53 عاماً وعملي وطني تائر في الجبال وأسكن شواهدق الجبال والنضال» (الشعلان، د.ت: 223). فحينما يتهمه المدّعي العام بأنه قاتل وقتل كثير من جنود العدو، يدافع عن نفسه أمام هذه التهمة بتلك الألفاظ الحماسية: «أنا لست قاتلاً، بل أنا أدافع عن وطني وشعبي وإسمي وحقّي في الحياة... أدافع عن قضيتي بيدي هاتين. سأقاتل أعدائي بجسدي ودمي وثقافتي وقلبي وعمري وأحلامي وصبري وحقّي وإيماني» (الشعلان، د.ت: 234)، وفي قول ثاني قال الرجل الثوري في معرفة نفسه وهو معتزّ بذلك: «أنا مناضل في الجبال ضد أعداء وطني» (الشعلان، د.ت: 233). عند إمعان النظر في هذه المفردات نشعر بتتهيض الكاتبة للهمم للثورة والكفاح ضد الأعداء بألفاظ صريحة وحماسية للتفادي والفناء في سبيل الوطن وعبرت عن حقدّها وكرهيتها وحقد جميع الفلسطينيين الذين لديهم نفس الإحساس تجاه الأعداء الصهاينة بألفاظ ك: «أدافع، بيدي هاتين، أقاتل بجسدي، بدمي، بثقافتي...» وكما تزيد هذه الألفاظ المشاعر النضالية في نفوس الشعب ضد الأعداء كذلك تبين لهم أن الحرية عند المسلم غاية لا تتحقق إلاّ بالنضال والتفاني، لأنّ الحقوق لا تنال إلاّ على جسر من الضحايا. كما إن المبدأ الأوّل لتحرير أرض فلسطين هو النضال والمقاومة أمام العدو الصهيوني ودليلنا على هذا القول هو الإستشهاد بكلام أمين الريحاني في إحدى كتاباته: «والمبدأ الجوهرى الأوّل هو مقاومة الصهيونية، فهل تستطيعون أن تقاوموها بشقاقكم يا ترى وبتخرجكم وبمطاعن بعضكم إلى بعض؟» (الريحاني، 1956: ص 71).

• النضال الفلسطيني بين مفهومي المقاومة والإرهاب:

يعرف الإرهاب بمفهومه العام أنّه أحد مظاهر إستخدام القوة التي تتصف بالعنف إلاّ أن تعاريف الإرهاب قد تنوعت وتعدّدت وتباينت في النظرة إلى الإرهاب. لقد حاول العديد

وضع تعريف للإرهاب ولكنهم تباينوا في تعريفاتهم له، فقد عرّف قاموس الأكاديمية الفرنسيّة لعام 1798م، الإرهاب "بأنّه نظام عصر رعب" وعرّف الشخص الإرهابي "بأنّه الشخص الذي يحاول فرض وجهة نظره بطريقة قسريّة تثير الخوف والهلع" ولخصّ آخرون المعنى العام للإرهاب بقولهم: "إنّه عدو الجنس البشري". وهكذا نرى أن استخدام القوة من خلال أسلوب الإرهاب متعددة مثل القتل والتشويه، والتدمير، والتعذيب وإثارة مظاهر الخوف والرعب بهدف الوصول إلى السلطة أو القيام بدعاية لهدف.

وتبرز "إسرائيل" كدولة إرهاب في مواجهة الشعب العربي الفلسطيني وإعتداءاتها المستمرة على العديد من دول المنطقة. فقد أصبحت مدرسة لتنفيذ الإرهاب الرسمي وإرهاب الدولة بجميع مظاهره، تمارس القتل والقمع والتدمير والممارسات العنصرية ضد الأطفال والنساء والشيوخ، دون الأخذ بأي إعتبار للأنظمة والقوانين الدولية وشرعية حقوق الإنسان وهدف إسرائيل هو قهر إرادة الشعب العربي الفلسطيني وتغيب إرادة المقاومة.

ويتجلى هذا الأمر لنا في النص التالي من المسرح الذي دار بين المدعي العام والمناضل الفلسطيني حول تضييع اسمه: «قلت لك إني لم أضيع إسمي. إنه هناك في الجبال يناضل حتى أعود إليه، لأكمل معه درب النضال... المدعي العام: إذن أنت إرهابي الجبال. الرجل: لست إرهابي، إني نائر من الثوار... المدعي العام: ماذا تسمي عملك هذا؟ الرجل (باعتزاز): أنه دفاع شريف عن الوطن... المدعي العام: بل هو إرهاب وإجرام. الرجل (بإصرار): بل أنا نائر. أنا مناضل في الجبال ضد أعداء وطني. فهل هذه جريمة في نظرك؟.. قتلت الكثير منهم وسأقتل التاريخ الذي يظلمني ويظلم شعبي...» (الشعلان، د.ت: 227-234).

إنّ الفلسطيني وهو يقاوم يسعى إلى الحرية والإنعتاق لكي يشعر بالإطمئنان ولكي تنتهي إلى الأبد صفة الضحية التي لازمته حتى اللحظة بسبب المغتصب والقاتل الصهيوني الذي يحاول القضاء على كل آماله في الحرية والحياة... فمن إذن هو الإرهابي؟ الذي يناضل

من أجل حريته وإستقلاله وحياته الكريمة الآمنة؟... أم ذلك العدو الصهيوني الذي اغتصب فلسطين بدواعي مصالح الرأسمالية العالمية دون أى مسوغ أو حق تاريخي فيها على الإطلاق؟! فالإجابة إلى هذه الأسئلة نستمدّ من قول المفكّر والكاتب الإسباني خوان غويتسولو حول عنوان النضال الفلسطيني بين مفهومي المقاومة والإرهاب: «كيف يفسر حق الدفاع عن النفس بأنه إرهاب والإرهاب دفاع عن النفس!! إنّي أستطيع أن أعدد دولاّ تمارس الإرهاب وإسرائيل هي إحدى هذه الدول. يجب أن نخرج أنفسنا من الكليشيات وألاّ نساوي بين القاتل والضحية، بين القوة المحتلة والشعب الذي يزرع تحت الإحتلال ويقاومه ونحن ممثلوا شعوبنا غير المنتخبين وعلينا أن ننقل بأمانة ماتشاهده أعيننا وتحسّه قلوبنا» (ياسر علي، 2009م: ص 15)، فالغاصب الإسرائيلي، الذي أقام دولته بدواعي القوة والإرهاب، قد وصل اليوم إلى مأزق وجودي لم يترك له سوى طريق الحرب والمواجهة مع الشعب الفلسطيني.

• شرح الجرائم والعتوّ

كل أديب فلسطيني عندما تتحرّك شفتاه لقول الأدب وتتفجّر قريحته مستحيل ألاّ يتكلم عن فلسطين وظروفها الصعبة في نتاجه الأدبي، لأنّه لا يوجد شعب في العالم كالشعب الفلسطيني تعرّض إلى أنواع المحن والمصائب والمهانات والإبادات الجماعية ف«ذاق الشعب الفلسطيني كل صنوف القهر والعذاب والممارسات الوحشية والإجرامية وتعرّض لإنتهاك الحق في الحياة والقتل المتعمد وقتل الأطفال الأبرياء وطلبة المدارس والجامعات وحتى الأجنّة في بطون أمهاتها لم ترحمها الرصاصات الكيان الصهيوني» (إبراهيم محسن، 2005م: 25). ونذيق مرارة هذه الجرائم والظلم عندما نقرأ ونشاهد هذا القسم من المسرحية: «جاء الغرباء مدجّجين بالسلاح، حاربونا، أحرقوا الأراضي، جرّفوا البساتين، قتلوا الأطفال، سبوا النساء وحرّموا لغتنا وأجبرونا على التكلّم بلغتهم» (الشعلان، د.ت: 224). ففي هذا النص نرى أنواع الجرائم التي قام بها الكيان الصهيوني على الشعب

العربي الفلسطيني من قتل الأبرياء وحرب وإحراق وسب النساء والإحتلال. وبالتالي نقوم بالإشارة على هذا العتو والعمل الإنساني فرداً فرداً عبر ما أشارت كاتبة المسرحية د.سناة الشعلان عليه في النص.

❖ معاناة الطفل الفلسطيني وصموده البطولي في وجه الإحتلال:

يعيش الطفل الفلسطيني بمعزل عن البيئة الدولية، يعاني من كافة أنواع الحرمان من أبسط الحقوق الدولية التي يتمتع بها كافة أطفال العالم، فأطفال الشعب الفلسطيني ليس كغيرهم من الأطفال تعب ومعاناة، حصار وجوع وألم، مشاهد تلخصها حياة أطفال في فلسطين فقدوا معنى الطفولة، فالطفولة في فلسطين لاتعني اللهو واللعب ومنتعة الحياة بل القهر والحصار والظلم الذي أنهك الشعب الفلسطيني، فأطفال فلسطين معاناتهم لاتنتهي وبكافة الأنواع ساسية، وصحية، وإجتماعية وإقتصادية ولعل المشكلة الأكثر تأثيراً على حياتهم هي إنتشار الفقر فالأطفال يبحثون عن أي أموال قليلة تساعدهم في خدمة أسرهم التي إشتد عليها وقع الحاجة بدلاً من أن يزودوا بالأساسيات التي يجب أن يحصل عليها كل طفل؛ تنتزع هذه الحقوق من الأطفال هناك: حقهم في اللعب... الحق في الذهاب إلى المدرسة... الحق في الحصول على تغذية سالمة... حقهم في الشعور بالأمان في منازلهم؛ ولاشك أن الإحتلال الإسرائيلي هو مصدر المعاناة الدائمة التي يعيشها أطفال فلسطين. وتظهر هذه المعاناة لنا في نقاش الطفلة مع المدّعي العام حين تعرّف نفسها له قائلةً:

«الطفلة: نحن اللذين طردنا من بيوتنا وهربنا من الموت ولجأنا إلى الوحدة والتشرد والخيمة والحزن والخوف والعذاب» (الشعلان، د.ت: 269)، «لايعيش الطفل الفلسطيني مرحلة الطفولة التي يعيشها الأطفال الآخرون؛ يقتل الإحتلال براءته وأحلامه وهو يعيش مشاعر الخوف والقلق وتجبره الهموم والتحديات أن يعيش كبيراً بالغاً في فكره وهدفه قبل أن تتضج أعضاء جسده الصغير» (عيتاني والحيلة، 2008 : 5)؛ يحمل السلاح يدافع عن

كرامة وجوده ويسطر بيديه خريطة وطنه كي لا تنسى من ذاكرته الصغيرة بما ترسمه أيادي الإحتلال لتشوه معالم تاريخه يتلقف حجارة يطارد بها ظهر المحتل الهارب من الميدان.

الطفل الفلسطيني كزهرة الربيع تنفتح لتعطي عطراً يدوم حتى وقت الشتاء، يسير شامخاً بين أطفال العالم يتحدى بنبرة صوته وصراخه الذي يدلّ على قوة إيمانه بحق الحياة والوجود ويقينه بإسترداد مأخذ منه قبل مولده ليرده لمن سيخلفه من أجيال؛ نرى هذا البلاغ والنضوج عندما نادوها بإسم طفلة فقالت: «من قال لك أنني طفلة؟ من قال لكم إنّ صغار السن في المخيم هم أطفال؟ لقد سرق المخيم طفولتنا، نحن شيوخ وكهول بسبب المعاناة

والظلم...» (الشعلان، د.ت: 272)؛ الطفل الفلسطيني فهم الحياة بتفاصيلها قبل مراحل نموها العاديّة، يعيش معاناتها ويحمل همّها ويخوض ميادين العمل والكفاح فيجرب السجون والمعقلات ويسير في مسيرات النضال والعطاء. ومن أشكال الظلم على الأطفال هو التهجير والإبعاد وهو من إجراءات العقاب الجماعي ضد سكان البلد الأصليين، حيث يتم طرد المواطنين إلى بلاد أخرى بالعنف والقوة، وجاء في بند الجرائم الدوليّة التي يعرفها: «الإبادة الجماعية، وتعرّف بأنها أي فعل من أفعال القتل أو إلحاق ضرر جسدي أو العقلي الجسيم أو الإخضاع لأحوال معيشيّة يقصد بها الإهلاك أو فرض تدابير منع الإنجاب أو نقل الأطفال عنوة إلى جماعة أخرى، المرتكبة بقصد إهلاك جماعة قوميّة أو إثنية أو عرقيّة أو دينيّة بصفتها هذه، إهلاكاً كلياً أو جزئياً» (نصّ نظام روما الأساسي للمحكمة الجنائيّة الدوليّة المعتمد في روما 17 تموز/يوليه 1998م، موقع اللجنة الدوليّة للصليب الأحمر)؛ وقد تبلور بوضوح في المسرحية عند نقاش بين المدّعي العام والطفلة هذا العمل اللإنساني بحيث أصبح ملموساً مهموساً حين سألتها لماذا ترك ابن عمّها دميته معها فقالت: «هو لم يتركها معي، هو لا يعطيها لأي حد، تظل دائماً معه، لكنّها وقعت عندما أخذه اولئك الغرباء عنوة في سيارتهم وذهبوا به نحو البعيد ولم يعد إلى المخيم حتى الآن... لقد جاء الغرباء إلى المخيم وأخذوا الكثير من الأطفال نحو المجهول ثم لم

يعودوا...» (الشعلان، د.ت: 273)؛ فلاشك أنّ أطفال الشعب الفلسطيني يتأثرون بسياسة سلطات الإحتلال التي تمنعهم من ممارسة حياتهم الطبيعيّة وفي نفس الوقت يحرمون من شعور الإنتماء إلى وطن مستقل، كما يعانون من القلق وعدم الإستقرار وغياب الهوية السياسية والإغتراب والتمزق الإجتماعي «ويشكل غياب كل من الهوية السياسية والإنتماء للوطن الواحد أهم مصادر الإحباط التي يعاني الأطفال منه في ظل الإحتلال» (الطفل الفلسطيني في ظل الإحتلال الصهيوني، الجندي، إبراهيم رضوان، مجلة شؤون عربية، جمادي الأول 1409هـ، العدد 56، ص: 194). وفي نص آخر نرى قلق الطفلة الفلسطينية من إتخاذ قرار المدّعي العام حول قضيتها وهي سرقة اسمها وهويتها بيد العنف والجور:

«هل سترسلني إلى مخيم آخر من مخيمات الحدود؟ هل سترسلني في قارب ما لأتسلّل مع اللاجئين آخرين إلى بلد آمن؟ إنن هل سترسلني إلى معمل أو مصنع لأعمل في تغليف السكاكر مقابل بعض الطعام؟ إنن لاتقل إنك سوف تزوجني لرجل كبير سمين من بلد عربي ثري. أنا لأزال صغيرة على الزواج، أريد أن أكمل دراستي في المدرسة» (الشعلان، د.ت: 278-279). ففي هذا النص يتبيّن لنا بعض من كيفية تعذيب الأطفال الأبرياء بأنواع شتى منها التهجير والتشغيل والتزويج الأطفال الأنثوية بعمر صغير لأثرياء البلاد الآخر؛ فهؤلاء الأطفال الذين يعيشون تحت هذه الظروف القاسية «يفقدون طفولتهم وبراءتهم، كما يفقدون الفرح والأمل في الحياة، ويتعرضون لحمل أثقال هائلة ينوء بها الكبار، وهو ما قد يؤدّي إلى مشاكل جسدية ونفسية، يسعى الإحتلال من خلالها إلى تحطيم روحهم المعنوية» (عيتاني والحيلة، 2008م: 15)، وإستناداً إلى ذلك قول الطفلة الفلسطينية: «عندما تسرق أسماؤنا تسرق حقوقنا، تسرق أنسابنا، لايعود لنا حق في العودة إلى أوطاننا، أو في المطالبة بحقوقنا، بإختصار دون أسماننا لامستقبل لنا أو حق، عندما تسرق أسماؤنا تسرق أحلامنا، أعيدوا لنا أحلامنا» (الشعلان، د.ت: 274).

فالدراسة التي بين أيدينا تكشف حجم المأساة التي يعيشها أطفال فلسطين تحت الإحتلال وتسلط الضوء على آثار الكارثية التي يتعرضون لها جسدياً ونفسياً وصحياً واقتصادياً وتعليمياً بسبب الإجراءات الإسرائيلية فقد وقعوا ضحية لأعمال العنف والقمع والإضطهاد المستمر وحرّموا من أبسط حقوقهم الإنسانية. فإن كان الإحتلال الصهيوني حرم أطفال الشعب الفلسطيني أن يعيشوا كباقي أطفال العالم بكرامة وحق الحياة الطبيعية الأمانة التي يجب أن توفر لهم، فلنسع نحن إلى حماية ورعاية أطفال الشعب الفلسطيني العربي ونوفر لهم كل الأمن لأنهم رأسمال العالم الإسلامي الذي نتطلع من خلاله لمستقبل الدين الحنيف الذي شعاره الجهاد في سبيل الله ونساعدهم في بناء وطنهم وإمجاده وإسترداد أرضه وتحريره من كل آثار المحتل الغاصب ليعيدوا لهم كرامتهم. كما أنّهم صغار السن لكن كبار العقول ويسعون إلى استرداد مجد وطنهم وصمودهم ومقاومتهم على الظلم دليلٌ على ذلك. ليحصل الطفل الفلسطيني على وطنه، على حقوقه المسروقة وعلى طيفه الجميل فيتحمل هذه المعاناة ولاينزل رأسه أمام كل ما إرتكبه الظالم الصهيوني بحقّة، كما ما نراه في قول الطفلة لكاتبة المدّعي العام الخاصّة التي أرادت تحقير أطفال فلسطين بتبرّعها بألبسة ممزّقة باليّة: «نحن لسنا في حاجة إلى بضعة دراهم ومزق الملابس البالية، نحن نحتاج إلى أوطاننا، إلى بيوتنا، إلى أهالينا، إلى أعمالنا، إلى أسمائنا» (الشعلان، د.ت: 271). فالطفل الفلسطيني عرف مكانته الشامخة ومانقبّل الذل ولازال يتقبلها وهو ذو قدرة واسعة على الإيصال إلى هدفه وهو تحرير وطنه من قيود الصهاينة فيسعى لبناء وطنه وإحقاق مقاصده الحياتية؛ فالأطفال هم ثروة البلاد وقال الإمام الراحل الخميني (رحمة الله عليه) في هذا الخصوص: «تبنى البلاد على أيدي الأطفال؛ فلا بدّ من تربية الأطفال الفلسطينية فكرياً وعقلياً وعاطفياً على الدفاع عن أرض مسقط رأسهم وعلمهم بتاريخها وثقافتها ومعالمها حتّى تصبح محرّرة مستقلّة مكنتيّة بنفسها على أيدي أطفالها، الذي تربّوا وسيتربّوا على هذا الأساس» (الخميني، 1279م/1368هـ.ش: 88). (رجاع)

انتهاكات إسرائيل للإتفاقيات الدولية:

يمعن العدو الصهيوني في تكريس الإغتصاب برفضه القبول بقرارات الشرعية الدولية رغم أن الضحية قد أكرهت على قبول تلك القرارات في ظل متغيرات وأوضاع دولية وعربية عززت النزعة التوسعية الصهيونية وأدت إلى هذا الإختلال العميق في ميزان القوى لصالح العدو الإسرائيلي الذي إستمرّ في ضم الأراضي الفلسطينية وتجزئتها وتحويلها إلى كانتونات تحاصر الشعب الفلسطيني من كل جانب من أجل تحقيق هدفه في إذلال شعب فلسطين وفرض الإستسلام عليه عبر صور من الإرهاب الصهيوني؛ الأمر الذي فرض على شعب فلسطين أن يتصدى لهذا الإرهاب الصهيوني بكل أشكال المقاومة كحق واجب وطني أقرته مواثيق الشرعية الدولية، مايجعل من المقاومة الفلسطينية من أجل الحرية والعودة هي نقيض الحقيقي للإرهاب الصهيوني. وفي مقاربة أولية لما جرى مع الإتفاقيات الدولية يمكن تسجيل أبرز الإنتهاكات منها:

1. «إعلان سان بطرسبرغ لعام 1868 لحذر القذائف المتفجرة.
2. إعلان لاهاي لسنة 1899 حول قذائف "دم دم" والغازات الخانقة.
3. إتفاقية لاهاي لعام 1907 وهي تتضمن نصوصاً أساسية تضع ضوابط وقواعد وأصول مهمة للنزاعات المسلّحة، إذ تهدف إلى تنظيم وسائل حل النزاعات بين الدول بالطرق السلمية وإلى وضع قيود على إستخدام الأسلحة في النزاعات المسلّحة البرية والبحرية.
4. إتفاقية هيغ لعام 1907 التي تتضمن قواعد مهمّة تتعلق لمفهوم الحياد وبمفهوم الإحتلال وبكيفية إدارة العمليات الحربية.
5. بروتوكل جنيف بشأن حظر إستعمال الغازات السامة والأسلحة الجرثومية لعام 1925.

6. ميثاق الأمم المتحدة.

7. إتفاقيات جنيف الأربع لعام 1949، والبروتوكولات الملحق بها.

8. إتفاقية لاهاي لعام 1954 لحماية المواقع الثقافية في زمن النزاعات المسلحة.

9. إتفاقية حظر الأسلحة البيولوجية لعام 1972.

10. إتفاقية 1983 لمنع إستخدام بعض الأسلحة ومنها الفوسفورية ضد المواقع العسكرية التي تقع بين المنشآت المدنية والتي إستعملتها إسرائيل بكثافة في عدوانها على غزة.

11. إتفاقية باريس لحظر إستعمال الأسلحة الكيميائية.

12. إتفاقية الأمم المتحدة لعام 1980 بشأن حظر أو تقييد بعض الأسلحة التقليدية.

13. البروتوكول الإضافي للإتفاقيات جنيف الأربع الموقعان في العالم 1977 لإستكمال الحماية التي تضمنها إتفاقيات جنيف لعام 1949 في النزاعات المسلحة الدولية و غير الدولية (خليل حسن، 1430هـ: صص: 66-67).

وكعادتها لم تتورع إسرائيل يوماً عن إنتهاك القوانين والأعراف الدولية المنظمة للحروب بل عمدت منذ بداية عدوانها على غزة إلى إستهداف المدنيين والمنشآت غير العسكرية، فنفذت المجازر على مساحة غزة بكاملها وإمتدت يد الغدر إلى الأطفال والشيوخ والنساء دون رادع أو وازع قانوني أو أخلاقي كما دمّرت بشكل منهجي البنى التحتية من جسور ومنشآت صحية وتربوية ودينية وكل ما يخطر ولا يخطر على بال؛ خارقة بذلك كل ما يمكن أن يوصف بحقوق الإنسان أو القوانين المنظمة لحماية المدنيين أثناء الحروب والنزاعات. فماذا عن إتفاقيات القانون الدولي الإنساني التي إنتهكتها إسرائيل؟ وكيف تعاملت المنظمات

العربية والدولية لحقوق الإنسان؟ في الواقع يمكن القول إنّ جميع الإتفاقيات الدولية لا يمكن لها أن تغطي فداحة الجرائم المرتكبة التي فاق حجمها أي تصوّر بالمقارنة بين المدّة الزمنية ومساحة الأرض المحروقة التي أتبعها إسرائيل وكذلك حجم الكثافة السكانية لغزة التي تعتبر الأولى في العالم؛ و«بسبب "عالمية المحاكمة" لمثل هذه الجرائم، التي غالباً ما يرتكبها الإحتلال الإسرائيلي بدم بارد، ويبررها بـ"الضرورة العسكرية"، ترفض سلطات الإحتلال التوقيع على ميثاق روما فيما يخص المحكمة الجنائية الدولية» (ياسر علي، 2009م: 15). وأمّا تسعى هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على أبرز المجازر الصهيونية التي ارتكبتها الإحتلال بحق الشعب الفلسطيني حسب ماجاء في مسرحية محاكمة الإسم "X"، لعلّها على الأقل تحيي ضمير العدالة مجدداً، لقضية شعب مايزال يعاني أبشع الإنتهاكات تحت الإحتلال الإسرائيلي لأرضه، ولايزال أكثر من نصفه مشرداً في الشتات ينتظر حقّه في العودة. وأمّا من أبرز هذه الإنتهاكات التي وردت في مسرحية محاكمة الإسم (X) هي:

❖ نقض إتفاقية حظر الأسلحة الكيميائية، في النص التالي من المسرحية:

«الرجل: إنني لأبوح لكم بإسمي خوفاً من أن تحرقوه، كما أحرقتم شعبي من قبل.

المدّعي العام (باستنكار): نحن لم نحرق شعبيك!؟

الرجل: بل أحرقتموه عندما قصفتم شعبي بالكيمياوي.» (الشعلان، د.ت: 230).

وماذا كان جواب المحكمة الجنائية الدولية لذلك العمل البشع؟! وماذا كانت ردّت فعل

الدول العربية له؟! فنجد إجابتنا في النقاش التي دار بين الرجل والمدّعي العام:

«المدّعي العام: نحن لم نفعل ذلك، الحكومة من فعلت ذلك.

الرجل: لكنكم جميعاً صققتم لمن قصفنا ولم تستنكروا هذه الجريمة النكراء التي قتلت

الأبرياء العزل.» (الشعلان، د.ت: 230).

ينتهك الكيان الصهيوني الحقوق والقيم والأهداف ويسوم شعب فلسطين في الأرض المحتلة أدل ضروب العسف والإضطهاد وأحط صنوف القتل والتعذيب والتشريد غير متقيد بقرار أو قانون دولي وغير مكتوث بأية مبادئ أخلاقية أو حقوق إنسانية. « ومنذ قرار الهدنة والحل السياسي وتحديات إسرائيل للأمم المتحدة والقانون الدولي وجرائمها ضد شرائع الحرب وحقوق الإنسان وإعتداءاتها على المدنيين والممتلكات لا تقابل من المنظمة الدولية ومجلس الأمن إلا بالتهرب والمماطلة أو بالأسف أو التذليل، ولاتواجه من الدول الكبرى بغير النقد والتحذير حيناً وبغير الدعم والتأييد والتحريض في معظم الأحيان» (قرارات وتوصيات المكتب الدائم لإتحاد محامين العرب المنعقد بالجزائر، السنة التاسعة والأربعون، نوفمبر 1969، العدد 9، ص 1-2).

❖ الحروب:

لايعدّ قتل الفلسطينيين "جريمة" عند الإسرائيليين، لكنّه جزء ضروري من ثقافة مجتمع قائم على مبدأ الإحتلال، ومن أبرز الظواهر التي يتّسم بها المجتمع الإسرائيلي أنّه مجتمع حربي وذوثقافة حربية. إنّ الجهود السياسيّة والإقتصاديّة والثقافيّة والعسكريّة التي بذلت في القرن المنصرم كانت «بهدف محو الهوية التاريخيّة والواقعيّة الأصليّة للشعب الفلسطيني والقدس بإعتبارها القبة الأولى للمسلمين، وإلى جانب تلك الجهود بذلت مساعي دبلوماسية حثيثة ومتواصلة من أجل إضفاء الشرعيّة على حكومة إسرائيل الغاصبة» (جولات السلام المفروض لطمس الهوية الفلسطينيّة تدريجاً، 1978-2007، حسن غفاري فر، السنة الحادية عشرة، العدد الرابع والأربعون، شتاء عام 87)؛ ومن جملة تلك الجهود التي تجسدت في إطار مابات يعرف بإتفاقيات السلام المنعقدة بين الكيان الصهيوني اللقيط وزعماء عرب مساومين وقد أسفرت عن طمس الهوية الفلسطينيّة والإكتفاء بسلطة حكم ذاتي في قطاع غزّة والضفة الغربيّة مع بقاء الإحتلال الصهيوني جاثماً على صدرها، وبالطبع فإن حرب على غزّة التي شنتها إسرائيل في رمضان يوم 8 يوليو 2014 التي أطلق

عليها الجيش الإسرائيلي عملية الجرف الصامد أكّدت على عمق تلك الجهود؛ وأشارت الكاتبة للمسرحيّة هذه على هذا التعقيم بذكر هذه الجريمة النكباء في النص التالي من المسرحيّة:

«المدّعي العام: وهذا الطفل المزعج الذي يبكي دون توقّف من يكون؟

المرأة العجوز: هو طفل وجدناه في بين اركام الحرب.

المدّعي العام: أيّ حرب؟

المرأة العجوز: حرب اليهود على غزّة في رمضان.

المدّعي العام: أي رمضان؟

المرأة العجوز: رمضان عام 2014». (الشعلان، د.ت: 256)

ولعلّه من المؤسف بل المخجل بحق البشريّة، أنّ العديد من الجرائم التي يرتكبها الإحتلال لاتصنف حتى اليوم في خانة الجرائم ضد الإنسانية أو جرائم تطهير العرقي.

❖ التمييز العنصري:

يحفل الفكر الصهيوني والعقيدة اليهوديّة الحديثة بالمفاهيم العنصريّة، والشاهد على ذلك أن «في العاشر من نوفمبر 1975 تبنت الجمعية العمومية للأمم المتحدة قراراً يدين الصهيونيّة ويعتبرها شكلاً من أشكال العنصريّة والتمييز العنصري» (فنسان مونتاي، 1976: 23). ليس هناك في الواقع من ينكر حقيقة أن إسرائيل دولة عنصريّة ودليل على ذلك "قانون العودة" ذلك القانون الذي يعطي الحق لليهود بالعودة إلى مايسمّى بـ"أرض الميعاد"، مع حرمان الشعب الفلسطيني من ممارسة هذا الحق والعودة إلى أرضه وبيوته. فيعيش الفلسطينيون في ظل دولة جديدة، دولة ليست دولتهم، دولة لاتعترف بهم بأنهم لم يكونوا موجودين، وعندما قامت كان هدفها التخلّص منهم أو على

الأقل أكبر عدد ممكن منهم. فمن ثم أسبغت صفة المواطنة الإسرائيلية على الفلسطينيين وهم أصحاب البلاد الأصليين، وهكذا أصبحوا مواطنين في الدولة الجديدة لكنهم مواطنون يفتقدون أبسط مقومات المواطنة؛ كما أشار على التعديل والمساواة وعدم التجاوز على حقوق الأفراد القاطنين كما يقول هاتف مكي: «فهناك حقوق أساسية يجب أن يتمتع بها جميع الناس دون تمييز بسبب العنصر أو الجنس أو اللغة أو الدين أو الرأي السياسي أو أي رأي آخر، أو الأصل الوطني أو الإجتماعي أو الثروة أو الميلاد أو أي وضع آخر، دون أية تفرقة بين الرجال والنساء، يولد جميع الناس أحرار متساوين في الكرامة والحقوق» (هاتف مكي، د.ت: 68). لكن يتمتع الفلسطينيون بمواطنة ناقصة في دولة إسرائيل فهذه المواطنة حرمت العربي الكثير من حقوقه مقارنة بالمواطن اليهودي، إذ نزل العربي إلى مواطنة من الدرجة الثانية، فقد حرم من فرص متساوية مع اليهود في التعليم، الصحة وحق العمل. ويتمثل هذا التمييز العنصري الصهيوني في أراضي الشعب الفلسطيني بشكل الإحتلال والإستعمار الإستيطاني؛ كما إن فكرة إسرائيل عرضتها الكلاسيكيات العبرانية ورسمها مؤدلجوها في القرنين الماضيين تتضمن ثلاث مهمات أساسية لا تتحقق إلا بالعنف والإرهاب:

1. إحتلال بلاد الآخرين

2. إستبدال سكانها بسكان غرباء وإستعباد من يعصي منهم

3. إستبدال ثقافتها وتاريخها بثقافة المحتلين الغرباء وتاريخهم

وبالرجوع إلى الفقه القانوني بالإمكان تعريف الإحتلال على «أنه السيطرة الفعلية من قبل قوة ما "لايشترط بالضرورة أن تكون دولة" على أراض غير خاضعة لسيادتها، دون أن تولي أدنى إعتبار لإرادة ورغبة من يملك الحق في السيادة على هذه الأراضي» (المالكي ولدانوة، د.ت: 7-8). فالسيطرة الفعلية من قبل قوة عسكرية أجنبية لا يمكن حال من

الأحوال أن تؤدي بمفردها إلى إنتقال الحق بالسيادة. فإستخدام "الإحتلال" في الشعب الفلسطيني أصبح آلة البطش والهيمنة الإسرائيلية خلاف ما جاء في ذكر أحكام لاهاي وإتفاقية جنيف من مبادئ عامّة جعلت من الإحتلال نظام مؤقت وفرضت قيوداً على صلاحيات القوّة المحتلة؛ فقد يكون الإحتلال مضللاً، لأن من ناحية لايعتبر جريمة وفق القانون الدولي الإنساني ولم يعتبر في حد ذاته إنتهاكاً لحقوق الشعب الفلسطيني المحتل. أما مفهوم الإستعمار الإستيطاني، فيشير بشكل عام «إلى سيطرة دولة قويّة على دولة ضعيفة وبسط نفوذها من أجل نهب وإستغلال خيراتها وموارد الطبيعّيّة والبشريّة، فضلاً عن تحطيم كرامة الشعوب المستعمرة وتدمير تراثها الحضاري والثقافي، وفرض ثقافة المستعمر عليها» (المالكي ولدادوة، د.ت:9). ويعتبر الإستعمار الإستيطاني الصهيوني في فلسطين، جريمة وإنتهاك صارخ لحقوق الإنسان، وممارسة عنصريّة محظورة ومعاقب عليها في القانون الدولي. ويشمل الإستعمار الإستيطاني غالباً عمليات إبادة ومحو للمجتمعات الأصليّة، فقائم بطبيعته على منطوق الإلغاء والمحو؛ ويتمثل هدف الإستعمار الإستيطاني الصهيوني في فلسطين، وإن اختلفت أنماط الإبادة الجماعيّة البنيويّة "الترحيل المكاني، والقتل الجماعي، وسياسات المحاكاة، والمهااة البيوثقافية"، وبالتدمير أو إستئصال الهويّة الجماعيّة للسكان الأصليين. ومما يلفت النظر على هذه الجريمة مانراه في النصوص التالية من المسوحيّة:

«الغرباء قالوا إن لغتنا عار وأنها تحرضنا على النضال ضدّهم، لذلك منعونا أن نسمي أبناءنا بأسماء من لغتنا. دولة الغرباء هي من تختار الأسماء لنا وتفرضها علينا ضمن قائمة محدّدة من الأسماء التي لايجوز لنا إختراقها ومن يخرق هذه القائمة ينتظره السجن والعذاب والتّفي وأحياناً القتل». (الشعلان، د.ت:225)

«جاء الغرباء، مدججين بالسلاح، حاربونا، أحرقوا الأراضي، جرفوا البساتين، قتلوا الأطفال، سبوا النساء، وحرّموا لغتنا وأجبرونا على التكلّم بلغتهم». (الشعلان، د.ت:224).

إن أفكار المستعمر الإسرائيلي واحدة في نظرتة لأصحاب الأرض الأصليين، فهو يسعى إلى إجنتائهم وإحلال سكان جدد مكانهم وإن اختلفت لغته ولونه وثقافته، أو اختلفت الأماكن، فالمستعمر الإسرائيلي الإسرائيلي يرى «أن العربي الجيد، والعربي الصادق هو العربي الموجود في القبر» (لانغر، 1986: 23).

«هناك نساء يخطفين دون أن نعرف إلى أين ذهبن، وهناك رجال يقتادهم الجنود المسلحون إلى أماكن مجهولة وهناك غرباء يخطفون الأطفال ويذهبون إلى المجهول». (الشعلان، د.ت: 279).

«أتهمكم بأنكم قد سرقتم إسمي، لأنه بلغتي التي تناضل ضد قتلها وضد الإحتلال والظلم... نعم، أنتم من سرقتم إسمي، أنتم من سرقتم لغتي، أنتم من جئتم من البعيد لتسرقوا أرضي وأهلي وجبلي. إسمي هناك غريب ضائع خائف في الجبال وأنا هنا دون إسم، لقد أجبرتموني على أن يكون إسمي "x" وهناك في الجبل إسمي بإسم الثورة والثور. المستعمرون كلهم عبر التاريخ الإنساني هم من سرقوا أسماء الأبطال والمناضلين والثائرين في كل مكان... لنكون الغرباء في أوطاننا». (الشعلان، د.ت: 231-232)

فيتبين لنا عبر هذه النصوص أن الصهاينة هم الظالمون، هم الذين لا يهتمهم سوى مصالحهم ويخبثون وجوههم القبيحة وراء القناع، يأتون بإسم السلام والصلح ولكن كل هذه الكلمات لا تكون إلا ثرثرة وكذباً فحسب. فوصلت جرائمهم إلى حد حتى غصبوا كل حق يمتلكه الشعب الفلسطيني بل كل ماتحتاج إليه الشعوب الأخرى وهو الحرية والعدل. وقلمنا نرى في التاريخ أمة جرى عليها ما جرى على الشعب الفلسطيني من إغتصاب أراضيهِ وتشريدِهِ منها. فبات الفلسطينيون يعانون من هذا الظلم في أوطانهم وتحملوا آلاماً كثيرة لانطاق من قبل المستعمرين والمحتلين الذين ساموهم سوء الحال. والإستعمار والإحتلال الصهيوني في فلسطين أشد شراسة وعنفاً ولإنسانية من باقي أشكال الإستعمارية، لأنه يتميز بالإستيغان

في أرض شعب آخر على أساس فكرة قومية تعصبية وعنصرية. وقد تأثرت الصهيونية بفكرة القومية التي إجتاحت أوروبا في القرن الماضي، ولكن الصهيونيين «كانوا يفتخرون إلى جميع مقومات الشعب والأمة من أرض ولغة وثقافة وحتى دين واحد. وعلى الرغم من إنعدام شخصية الأمة، وحتى الشعب، بين الأقليات اليهودية، فقد استطاعت الصهيونية أن تغذي الشعور بفكرة الأمة اليهودية والشعب الواحد معتمدة على عزلة اليهود وشعور اللاسامية، وعلى الرأسمالية والإستعمار العالمي» (الراهب، ذوالقعدة 36: 1387-35). فمن الصعب أنّ الفلسطيني يحقق أحلامه وأمنيته في دولة جديدة يهودية ليس له أنتماء وولاء لها، وتفرض عليه قوانين مالها أي أصل شرعي ودولي وتسرق منه جميع حقوقه حتى يصبح لأشياء في وطنه وينسى أصله ويصبح غريب حاضر في وطنه. وأما هدف الكيان الصهيوني من كل هذه الجرائم والمجازر لا تكون إلا «كسر إرادة الشعب الفلسطيني وإرهابه وترويعه وتنفيذ عملية تطهير عرقي تؤدي إلى طرد الفلسطينيين من أرضهم وتجبرهم فيما بعد على الإستسلام والقبول بالتسويات المجحفة بعدها» (مصالحة، 1992: 181).

❖ تعذيب الأسرى في المعتقل الصهيوني:

يعاني الأسرى الفلسطينيون في سجون الإحتلال الإسرائيلي أشد أنواع العذاب والألم التي تمارس ضدهم منذ بداية إعتقالهم وفي فترة المحاكمة وحتى الأسر، من إنتهاكات وتعذيب متواصل وممنهج لينتهك بذلك كل المعاهدات والأعراف الدولية التي تنص على غير ذلك. «فالسجون الإسرائيلية التي أقيمت لإستقبال عشرات الآلاف من المواطنين الفلسطينيين منذ حرب عام 1967 إلى عام 2005، لتثبيت وجودها كسلطة محتلة، وقيام إسرائيل بإعتقال هذا العدد الهائل لدرجة أنّها لم تترك عائلة فلسطينية إلا وجعلتها تعرف إجراءات الإعتقال. وأن كل عائلة فلسطينية كان لها فرد في السجون». (الهندي، 2000 م: 11).

إنّ السجون التي أنشأها الإحتلال الإسرائيلي لمعاقبة المقاومين الفلسطينيين تختلف إختلافاً جوهرياً من حيث أدواتها المستخدمة في الضبط والعقاب عنها في السجون الإسرائيلية المخصصة للمجرمين الإسرائيليين؛ «هذه السجون تسعى إلى إعادة تشكيل المواطن الإسرائيلي بما يتلائم مع المجتمع الإسرائيلي، حيث أنّها سجون حديثة تركز على الإنضباط، وإعادة تأهيل السجناء، وتحويل إتجاهاتهم بما يخدم مصلحة مجتمعهم» (عناقوي، 1995م: 53)، في حين أنّها حولت حياة السجناء في سجونها الإستعمارية إلى جحيم لا يطاق، «فهم أي السجناء أشبه بموتى داخل زنازين بل أقسى من ذلك من خلال تعمدتها قتل ذواتهم "أرواحهم" وهم أجساد على قيد الحياة لتحويلهم إلى أدوات طبعة متعاونة مع السجان» (أمين، د.ت: 91). وهذا العمل المتوحش الصهيوني إنعكس في مسرحية محاكمة الإسم "X" وأشارت إليه د.الشعلان في نقاش المرأة العجوز مع المدّعي العام نحو الشاب المريض من خلال تعذيبه في المعتقل الصهيوني الذي هو ولد للعجوز:

«المدّعي العام: هل هو فاقد لذاكرته أم لنطقه؟»

العجوز: هو فاقد لذاكرته، ويعاني من مشاكل صحّية ونفسية كثيرة بسبب تعذيبه بشكل وحشي في المعتقل الصهيوني». «فقد ذاكرته بين التعذيب وبين الدفن حياً في نفق من أنفاق المجاهدين في غزة» (الشعلان، د.ت: 259).

لقد واجه الأسرى الفلسطينيون إرادة المحتل الذي جيّش كل إمكانياته المادية والمعنوية لتشويش أفكارهم وإفقادهم وعيهم وتفكيك قدراتهم الثورية والكفاحية لأجل إحباطهم وتحطيم صمودهم؛ لكن وهناً على وهن، حمل الأسرى عذاباتهم بين الضلوع وفي المآقي، لكنّها أبداً لم تكسر إرادتهم بل أنمت نشاطاتهم وطورت مواهبهم فكانوا الأقوى وبقوا على نضالهم في تلك السجون المخيفة المرعبة لأجل إحياء العدل وإسترداد أرضهم وحقوقهم المغتصبة بيد الطاغوت بدمهم وجسدهم وثقافتهم وغيرتهم الإسلامية العربية؛ فلعبوا دوراً هاماً في عملية البناء الوطني تاريخياً، بتحملهم الجزء الكبير من عملية النضال والتضحية، وما زالوا

يساهمون اليوم بحملهم حلم التحرر والإنعتاق من نير الإستعمار الإستيطاني وبناء المستقبل الأفضل، لأنهم إكتشفوا رسالتهم وسط الظلام.

• دور المرأة الفلسطينية في سبيل المقاومة:

المرأة الفلسطينية ولاسيما التقليديّة (الأم، الجدّة) قد لعبت دوراً هاماً في ربط الأجيال الفلسطينية الصاعدة بتراثها الشعبي وبماضيها وتاريخها المجيد وبأرضها ووطنها من خلال قيامها في محيطها الإجتماعي الجديد (المخيم) الذي إنتقلت إليه عقب النكبة عام 1948 والخروج الثاني 1967، فنقلت بعض التراث الشعبي إلى هذه الأجيال وشحّدت فكرها وأغنت مخيلتها الشعبية وعلمتها وعوّضتها عن وسائل الترقية والتثقيف التي حُرمت منها وأهمّ من كل ذلك «رَبطت هذه الأجيال بأرضها وغرست حب الوطن والأرض في وجدانها وفكرها وجعلتها أشدّ إنتماء للوطن، بعد أن طورته في داخلها، فإندلعت للنضال في سبيله بكل الوسائل» (بسيسو، 1983م: 28). و من أبرز جهود المرأة الفلسطينية في سبيل المقاومة التي ورد في المسرحية هو إهتمامها بتربية الأجيال للثورة و زرع بذر الإنتقام بأخذ دم أهلهم ومواطنيهم من الطاغوت الغاشم الذي نلتسه في النصوص التالية من المسرحية:

«المدّعي العام: لم هذا الطفل معك؟»

المرأة العجوز: لقد أستشهد أهله أجمعين تحت الأنقاض بعد أن قصف الطيران الصهيوني الغاشم بيت عائلته، ولم يبق له أحد في الدنيا، فأخذته تحت جناحي أرحاه حتى يكبر وينتقم لأهله الشهداء الذين قتلهم الصهاينة وهم صوّام قوام.» (الشعلان، د.ت: 257)

فما أشبه نساء الفلسطينيات المناضلات بخنساء الشاعرة العربيّة المشهورة الذي فقدت أخوانها الأربع في معركة القادسية وقالت: الحمد لله الذي شرفني بقتلهم، وأرجو من الله أن يجمعني بهم في مستقر رحمته. فالخنسوات الفلسطينيات بنضالهن ومقاومتهن وتربية

أبنائهن على منهج إسلامي وطني وبطولاتهن وتضحياتهن التي لا مثيل لها في العالم بأسره أصبحت المرأة المثالية في تاريخ النساء. وقالت جمعية أنصار الأسرى «إنّ المرأة الفلسطينية سَطّرت أروع آيات البطولة والصمود والتحدّي فإنخرطت في النضال والمقاومة وكانت بجانب مقاتلي الثورة و إستشهد العديد منهن، وسَطّرن صموداً في زنازين الإحتلال ومعتقلاته وكانت تجربة الحركة النسوية الأسيرة جزءاً أساسياً من الحركة الأسيرة بشكل عام في نضالاتها وعلى مدار تاريخها»(الزرو، 2017: 2). المرأة الفلسطينية لها دوراً بارعاً في المناضلة اللاعنفية خلال تربية الأطفال والأجيال وتشجعهم على الدفاع عن قضية فلسطين المحتلّة بألفاظها التي تهيج نيران الغيرة الوطنية في عروق أبناء شعبها، فمن تلك الألفاظ هي لفظة "الشهيد" التي تصوّر عليها صورة الحرّية في الدنيا والآخرة من خلال بيع الذلّة والإستهانة بالتبرّع بدمومهم و شراء الجنّة التي وُعدت للمجاهدين في سبيل الله.

«المدّعي العام: ماذا كان إسم عائلته؟»

المرأة العجوز: قبل إستشهادهم لم أكن أعرف إسم عائلته، ولكن بعد إستشهاد أفراد أسرته أجمعين حملوا جميعاً إسم الشهيد.»(الشعلان، د.ت: 257)

فالشهادة إصطفاء وإختيار وتكريم من الله تعالى للمخلصين من عباده، التي أصبح طابع للفلسطينيين، لأنهم شديدي الإيمان بحرّية الإختيار ومسؤولون أمام مجتمعهم الذي ينتمون إليه، مسايرون شعبهم وأبناء قومهم، مقاومون للظلم والطغيان، مناصرون ضد الظالم، رافضون المصالحة مع الواقع الإجتماعي الذي يعيشه شعبهم، متغنياً بأمجاد شعبهم وبسالتهم وبطولاتهم وتضحياتهم؛ فلانغرس هذه الصفات بأكملها في ضمير الفلسطيني إلاّ إمراة مناضلة، عاشقة لوطنها ومدافعة عن أراضيها وثقافتها وحجبها وعرضها بأقوالها وأفعالها وتربيتها للأطفال على منهج حفظ شرافة وطنهم بالتبرّع بدمهم وروحهم، ممّا يظهر لنا في النصوص التالية:

«المدعي العام: إن هذا الطفل دون إسم؟ هو الطفل "x".

المرأة العجوز (باستنكار): هذا طفل لا يحتاج إلى إسم محدد.

المدعي العام (بتعجب): ولم ذلك؟

المرأة العجوز: هو فلسطيني، وهذا إسم جامع مانع، من إسمه فلسطيني لا يحتاج إلى إسم آخر.» (الشعلان، د.ت: 257-258).

«المدعي العام (موجهاً كلامه للشاب): يا هذا ما إسمك؟

الشاب (بفرح غامر، وهو ينظر إلى الأفق): أنا إسمي فلسطيني.

المرأة العجوز (تزعرد بفرح): الله أكبر! ألم أقل لك ياسيدي إنه فلسطيني؟ إنه ابن بطني، لقد نسي كل شيء إلا إنه فلسطيني.» (الشعلان، د.ت: 261).

فإنه ابن بطنها حقاً، الذي حملته في أحشائها الممتلئة بحب الوطن وربته على الفكرة الشعبوية الفلسطينية الثرية بعدم الإخضاع أمام ظلم الصهاينة والإستقامة على درب النضال حتى تحقق الآمال وهي تحرير أرض فلسطين المقدسة من الطواغيت وإحياء العدالة فيها.

• التخاذل العربي عن قضية الشعب الفلسطيني:

تتواصل الممارسات الإسرائيلية التعسفية في مدينة القدس المحتلة وبالتحديد في محيط المسجد الأقصى، وهذه العدوانية الإسرائيلية ليست جديدة ولا مستغربة على عدو الصهيوني، قتل ما قتل وإرتكب ما إرتكب من جرائم على مدى عشرات السنوات بحق الشعب الفلسطيني وباقي الشعوب العربية في الدول المجاورة. لكن اللافت هنا ليس العدوانية الإسرائيلية بقدر ما هو التخاذل العربي لاسيما على صعيد الأنظمة التي بعضها لا يتوانى عن الهرولة خلف العدو سعياً وراء فتح قنوات الإتصال أو تطبيع العلاقات؛ والحقيقة أن البعض لا يستغرب المواقف العدائية لبعض الأنظمة ضد الشعوب والحركات المقاومة إلا إن

المستغرب هذا الإبتعاد عن القضية المركزية للأمة والتخلي عن المقدمات بكل ما فيها من معانٍ وقيم دينية وأخلاقية وتاريخية حيث تعتبر جزءاً لا يتجزأ من التراث الإسلامي في القدس وفلسطين، فلماذا هذا الترك للمسجد الأقصى بهذا الشكل؟ وهل المسجد الأقصى لا يتسحق التحرك ولو الشكلي من قبل هذه الأنظمة؟ فلاشك إجابة هذه الأسئلة لا تكون إلا وجوب الوحدة العربية الإسلامية لتحرير الشعب الفلسطيني الإسلامي، الذي هو عاصمة الشعوب الإسلامية، من الكيان الصهيوني الظالم المغتصب والتركيز على حفظ القدس، القبلية الأولى للمسلمين، من أيادي الطواغيت. فيتجلى لنا ضرورة الوحدة العربية الإسلامية في تنبأ أمين الريحاني عليها، أنه كما تنبأ بنوايا الإنكليز واليهود لتأسيس دولة اليهود على أرض فلسطين، كذلك علم أنّ الطريق الوحيد لخلاص من هذه الكارثة التي تنداح في سماء العالم العربي الإسلامي هي المقاومة ووحدة الأمم العربية الإسلامية، وقد قسم الأمور التي تتعلق بهذه القضية إلى ثلاثة أقسام: «1. إتحاد الشعب الفلسطيني والأمة العربية 2. جهاد عام يشمل كل الأمة العربية 3. التضحية بالنفس والنفيس في هذا السبيل». (سويد، 1988م:72). يعتقد الريحاني أنّ الأمة العربية الإسلامية إذا لم تكن متّحدة فلانتمر ولا تجدي إنتفاضتهم ولا تنتهي إلى تحرير الأراضي المحتلة. وأمّا ما جاء في المسرحية على تقصير العرب وحكامهم في الدفاع عن هذا الحق يكتشف لنا في الحوار الذي دار بين المدّعي العام و المرأة العجوز حول مسألة تضييع إسمائهم:

«المرأة العجوز: لم يضيعها أحد، وكيف يضيع فلسطيني إسمه؟ هذا لا يكون، إنّما أسمائنا جميعها قد سرقت.

المدّعي العام (دون مبالاة): ومن سرقتها ياترى؟

المرأة العجوز: سرقتها العالم الصامت عن إحتلال فلسطين وإبادة شعبها. « (الشعلان، د.ت:260).

تتهم بعض زعماء العرب بالقصور عن مهمّتهم العربيّة والإنسانيّة، لأنّهم إفترضوا قضية فلسطين مسألة فرعيّة بينما هي مسألة أساسيّة تفوق جميع القضايا العربيّة الإسلاميّة وهي لمأساة عظيمة ينظر إليها بعض زعماء العرب كأنه لم يحدث شيئاً. « ماصدر بيان عن مؤتمرٍ من مؤتمراتنا أو تصريح لزعيم من زعمائها إلّا وكانت حقوق شعب فلسطين خاتمة مطافة كأنه "السلام عليكم ورحمة الله" ليقال إنّ المؤتمرين أو المدلين بالتصاريح لم يغفلوا هذه الناحية أو لأنّهم يخشون إذا هم أهملوا ذكرها، سخط الجماهير... فكأنّما هذه الحقوق قضية فرعيّة بالنسبة إلى ما يعدونه القضية الجذرية الأولى بالتقديم وهي رجوع إسرائيل عن أراضيها التي إحتلتها سنة 1967. وكأنّما هم يجعلون إصرارهم على وضع هذا البند كلّ مرة في جملة أو نهاية البنود التي يتفقون عليها، منّة يمتنون بها على الشعب الشريد وجهاداً سياسياً في سبيله لا يقلّ عن الجهاد الحربي. فهل نسي هؤلاء السادة أن مأساة المآسي كلّها إنّما هي إحتلال فلسطين وأنّه لولا إحتلال فلسطين لمّا إحتلّ سواها» (قاسم، 1996: 379).

• وعي الناصر المقاوم:

بات من المسلّم به أنّ الشعوب لانتغير بثورات الميادين والساحات فقط، لأنّ ثورة الوعي هي الركيزة الأساسيّة التي ستحدد وجهة الثورة في النهاية، فإذا كان الثائرون مجرد غاضبين فسينتهي بهم المطاف في خانة الملعوب عليهم، وإن كانوا واعين بقدر ثورتهم فسينتهي بهم المطاف بقطف ثمار لم يتوقعها في أول خطوة. كما قال علي شريعتي في هذا المجال: «إذا لم يكن الشعب على وعي وثقافة قبل الثورة فلا يلوموا أحداً عندما تسرق ثورتهم.» (عودة الله، 2006م: 60) ومما يلفت النظر عليه في مسرحيّة محاكمة الإسم "X" هو الإهتمام بموضوع تثقيف الثوار الفلسطينيين عبر قراءة الكتب حتّى يكتشفوا الطريق الصحيح لوصول أهدافهم التي هي تحرير أرضهم المحتلّة؛ وبيان للقارىء والمشاهد أنّ مجرد صراخ وقطف حجارة على العدو لم يكن حل لمعاناة المظلومين الذين سرقت أدنى حقوقهم في أرضهم، فعلى الثوار أن يرقّوا معلوماتهم ويتفقوا أفكارهم ويكتشفوا الحلول التي تطلقهم من الظلم التي

يتعايشون معه ويضيئون عقولهم بالعلم والبصيرة ويخطفون غبارالجهل منها. ومن هذه النصوص التعليمية هي نقاش المدّعي العام مع الرجل الثائر المناضل الذي ساكن في الجبال:

«الرجل: أن القانون ملك للجميع.

المدّعي العام (باحتقار): هكذا علّموك في الجبل؟

الرجل: هناك في الجبل علّمت نفسي بنفسي.

المدّعي العام: كيف؟

الرجل: عبر القراءة بالتأكيد.

المدّعي العام (بدهشة): هل عندكم كتب في الجبل؟

الرجل: بكل تأكيد، عندنا في الجبل مكتبة متنقلة لتثقيف الثوار. لا يستقيم أن يكون الثائر جاهلاً.

المدّعي العام: هل هذه الكتب هي من علمتك أن تحرق إسمك الرسمي؟

الرجل: هي من علّمتني أن أرفض النذل والإستلاب والإستهانة. «(الشعلان، د.ت: 227-228).

هذا حال الثوار الفلسطينيين إنهم مثقفون ولو لم يكونوا على وعي لماتت الثورة بالشهداء الأوائل لكنهم مولود عن والد تنتقل الثورة وبوعي تام يتابعون الثورة من الداخل ومن الخارج فإنهم جميعا يؤمنون بالآية الكريمة: « لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا

لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ «(رعد:11)؛ فهذا الشعب الفلسطيني الأبّي مستمر في ثورته وبمعنونة إخوته وأشقائه.

حب الوطن:

يشكّل حبّ الوطن أحد الموضوعات الرئيسة التي تحتوي عليها غالبية المسرحيات والآداب الفلسطينية. ومن ينتمي لفلسطين نشعر بأحاسيسه تجاه وطنه بكل ماتكتبه أنامله وتعلن به أفواهه، و من هؤلاء العاشقين لبلاد فلسطين هي الأديبة سناء الشعلان التي عبّرت عن مشاعرها وأفكارها عن بلدها بالشخصيات المسرحيّة والأحداث والأمكنة متصلة بواقعها التي يعيشها الشعب الفلسطيني وهي متفائلة بتحرير أرض وطنها والخروج من حالة الإستعمار الإستطاني وإعادة الأمور إلى نصابها.

فالإنتماء الوطني يعد من المفاهيم العالميّة المهمة في عالمنا المعاصر التي تتجلى فيه محبة الفرد لوطنه، والإعتزاز بالإنضمام إليه والتضحية من أجله. الإنتماء الوطني في الأدب الفلسطيني المعاصر هو الإتجاه الذي إتخذه الأديب الفلسطيني من القضية الفلسطينية، محوراً له وعالج قضاياها ومشكلاتها بمختلف أبعادها ومستوياتها قبل النكبة وبعدها، سواء كان ذلك داخل الوطن المحتل أم خارجه، والتزم بتلك القضية من خلال حبه لوطنه وإنتمائه إليه، ومتابعته لأحداث وطنه وتاريخه لها، وشرح أبعاد قضيته إقليمياً وعربياً وعالمياً من خلال تأكيده لوجهها الفلسطيني وقوميتها العربية، وإلهاب الحس الجماهيري الوطني، وبت روح الحماس والوطنية في نفوس الشعب؛ لتجديد كافة القوى الفلسطينية والعربية والإنسانيّة للدفاع عن تلك القضية، بالإضافة إلى تحسّس آمال الشعب الفلسطيني وآلامه داخل الوطن المحتل وخارجه، وبتّ روح الأمل في نفس الإنسان الفلسطيني وتوجيهه الوجهة السليمة لمواجهة واقعه بصبر وبسالة. ممّا إزدهر في مسرحية محاكمة الإسم "X" من الشعور بالمسؤوليّة عن الدفاع عن الوطن وحفظ كرامتها بعدم الإخضاع أمام الطواغيت ورفض قوانينها اللاهية والإصطبار على جميع الظلم والعتو الذي

ورد على الشعب الفلسطيني لا يصرّ في الأذهان والمخيّلات شيء سوى الحبّ الوطني الذي إرتكس في جوف الفلسطينيين. ومن تلك النصوص التي تبرز لنا هذا الحب هي:

«المرأة العجوز: جميعنا نحمل إسم فلسطيني، عمري بعمر القضية الفلسطينية، وعمر إبنّي بعمر الإنتفاضة الفلسطينية وعمر هذا الطفل بعمر أيام حرب رمضان 2014 على غزّة، جميعنا نعمل في الدفاع عن الوطن ونسكن في غزّة الإباء» (الشعلان، د.ت: 264).

في هذا الكلام نرى كيف عرّفت العجوز ومن معها بإسم الفلسطيني وبالبلايا الفلسطينية من بدأ تدشين الظلم والإحتلال الصهيوني على أراضي الشعب الفلسطيني العربي والإنتفاضة الأقصى إلى حرب اليهود على غزّة، ووصفت عملهم جميعاً من أطفال وشباب وشيوخ بالدفاع عن الوطن، فما هو الداعي الذي أجبر هؤلاء الناس أن يتحمّلوا هذا العصيان والتدمير ورؤية قتل أولادهم وأهلهم أمام أبصارهم على يد الطواغيت والحرمان والجوع والخوف و...؟ الداعي هو حبّهم لوطنهم، الوطن هو أمّ وكيف تستطيع العيش الأطفال دون أمّ؟! هذه الأرض هي من غرست حبّها بقلب أبناءها ورسخته فيه حتّى أصبح كالدّم يجري في شريان الفلسطينيين منذ البداية إلى النهاية والنهاية هي تحرير أمّهم من الإستعمار الإستيطاني الإسرائيلي. ونرى هذا الحب الإلتمائي يمتزج بصفات الشجاعة وعدم الإستسلام والخضوع أمام الظلمة حين تطلب المرأة العجوز للطفل الرضيع حليباً من العدو ولا يلبّي طلبها فيصف العدو المجرم الرضيع بـ:

« هو طفل فلسطيني شجاع صبور يستطيع إحتمال الجوع»؛ (الشعلان، د.ت: 262) نعم، هو كذلك فالفلسطيني أصبح مدرسة حقاً، هو من يتعلّم منه الآخرون درس البسالة والصبر أمام الطغيان والجهود إلى تحصيل الآمال بتحمّل مشقّة الآلام وتشاهق الرأس إلى الأعلى للوصول إلى المقصد، ومقصد الفلسطيني كان وما زال إحضان أرضه المحتلّة بكل لهفة وشوق وإحقاق أحلامه وطموحاته فيها بعيداً عن وجود الغرباء فيها؛ فهذا الحب الوطني في جوف الفلسطيني جذري ويتعدّى بتضحية أنفسهم له لإعتزازه من الدّل والإستهانة من قبل

اليهود الذي حرّفوا كلم الله وزوّروا الحقائق التاريخية لأجل مصالحهم ومنافعهم اللإنسانية. فحبّ الوطني الفلسطيني العامل الرئيسي لإرتقاء شعبه لأنّ « حبّ الوطن نوع من الأنانيّة وهي لازمة لإرتقاء كلّ أمة على حدّتها كما أن الأنانيّة كانت لازمة لإرتقاء كل فرد من أفراد البشر» (حب الوطن، المقتطف، ص: 290، الجزء الخامس، سنة الرابعة عشرة، 1 شباط (فبراير) سنة 1890).

نتائج البحث:

من خلال دراستنا على ملامح المقاومة في مسرحية (محاكمة الإسم "X" للأديبة سناء الشعلان، حصلنا على نتائج منها:

- المقاومة هي المفهوم الثاني للجهاد، لأن تبرز عندما تُسرق الحقوق الشرعيّة والوطنية منها كعدم إمتلاك أيّ حق من أرض بلاده وثقافتها ودينها وغير ذلك، ولها أشكال متنوعة منها المقاومة المسلحة وغير المسلحة كالمشاركة في المسيرات، عدم المشاركة في الإحتلال و...، وظهور هذه الأفعال بشكل الألفاظ الحماسية في الآداب سُمّية بأدب المقاومة.
- أصبحت فلسطين ومعاناتها المؤلمة جدّاً، وجعاً لقلوب ذوي الضمائر المرهفة اليقظة، لتحمل أنواع المخانق والتوحش من قبل الإسرائيليين ونموذجاً للصبر والإحتفاظ بالقيم الوطنيّة وعدم قبول العبودية والردالة.
- النضال والدفاع الطريق الوحيد لإنقاذ أرض فلسطين المحتلّة، فإختار الفلسطينيون هذا المنهج، حسب ما أكّد عليه الدين القيم الإسلامي، على أهميّة الجهاد في سبيل الله إنتصاراً للحق وإقامة العدل ودفاعاً عن أمّتهم الكريمة وحفظ القبلة الأولى للمسلمين من تدنيس براثن الصهاينة.

■ هناك فرق واضح للغاية بين مفهومي المقاومة والإرهاب، فالمقاومة تظهر عند إستلاب الحقوق وتضييع تاريخ البلاد من خلال المنافع الشخصية عن طريق الإحتلال والإستعمار على يد العدو، والإرهاب هو صنع ساحة حربية للقتل والقمع والإنتهاكات اغتصاباً للحصول على ما هو له.

■ قد ضاعت طفولة أطفال الشعب الفلسطيني وبرائتها بسبب المعاناة التي عاشها الأطفال، فلا يعرف الطفل الفلسطيني معنى اللعب والتلهي كباقي أطفال العالم، لأنه بكثرة المعانات أصبح لا يشعر بطفولته، فإتخذ الحجارة بكفه الصغير ذوداً لوطنه وإخراج العدو الصهيوني منه الذي عرفه بلقب الأم الحنونة وأراد ترك نفسه بحضنها والإشعار بدفئها دون وجود أي مغتصب لها.

■ إنتهاكات إسرائيل للإتفاقيات الدولية إحدى جرائمه العظمى التي لم يعاقب عليها من أي منظمة دولية للحروب، فإغتتم الفرصة فراح يكثر بظلمه على الشعب الفلسطيني دون أي مبالاة.

■ العنصرية تشكل الفكر الصهيوني ويزعمون أن أرض فلسطين المقدسة هي أرض أجدادهم وسموها بـ"أرض الميعاد" ولا بد أن يعودوا لها، فلأجل إحقاق هذا الإعتقاد الباطل الذي ليس له أي أساس، لجأوا إلى التمييز العنصري بشكل الإحتلال والإستعمار الإستيطاني.

■ قام المستعمرون الإسرائيليون بنسخ سجون في أرض فلسطين للمناضلين، التي تختلف تماماً عما هو موجود في دولتهم؛ لأنها مزجت في وسائلها العقابية ما بين المشهدية والحدائية في العقاب، مما جعل منها سجونا مهجنة، لذلك عاش المقاومون الصامدون ظروفًا قاسية جداً فيها وذاقوا أشد العقوبات المرة التي تناسب مع خطط الإحتلال الفلسطيني.

▪ برز نموذج المرأة الثورية المثقفة، التي ظهر دورها الفاعل والمؤثر على الصعيدين الإجماعي والوطني. وقد جمعت بين هذين النموذجين صفات مشتركة كثيرة تجسّدت في حب المرأة للحياة وللأرض-فلسطين- وللعمل وسعيها الدائب لتحقيق أحلامها وأهدافها وإستعدادها للبدل والعطاء دون ملل أو كلال منها تربية الأطفال والأجيال على منهج حبّ الوطن والتضحّيّة بالنفس لأجله.

▪ الحس العربي تجاه القضية الفلسطينية بشكل عام مصاب بالشلل بسبب فتور الإحساس والتأثر وإنشغال العرب وزعمائهم بمشاكلهم الداخليّة، وتدّعي زعماء العرب بعدم حقّانية الفلسطينيين في إقامة دولة لهم، ويمتدحون تعاضم قوة الكيان الصهيوني ويتباهون بعظمة وسطوة الإسرائيليين العلميّة والعسكريّة، وبعضهم يدعوا للرضوخ التام وإزالة العوائق النفسيّة وتقبّل وجود إسرائيل في جوف الجسد العربي والتعامل معه؛ فعلى الدول العربيّة بعضها التراجع عن هذا الفكر والمنطق، والسعي على حفظ الوحدة العربيّة الإسلاميّة والتساعد مع إخوانهم الفلسطينيين على دفع الإستعمار الإستيطاني الصهيوني من بلاد فلسطين العربيّة.

▪ الثقافة لازمة المقاومة، فعلى الثائرين بتثقيف و إيقاظ نفسهم عبر القراءة والمناهج التعليميّة الأخرى لإزدياد معرفتهم حول مبادئهم الوطنيّة وتاريخها والطرق الجيّدّة للدفاع عنها، فالصراخ وقذف الحجارة ليس الطريق المثيل والرئيسي لطردهم من بلادهم.

▪ لا يوجد أيّ سبب ودافع لتحمل جميع أنواع الظلم والعتو من الصهاينة على الشعب الفلسطيني العربي طوال هذه السنين سوى حبّهم لوطنهم الجذري والإيمان بالتخلص من هذا العدو الغاشم قريباً.

المصادر:

1. أمين، مصطفى، ل.ت، سنة الثالثة سجن، مصر، القاهرة: المكتب المصري الحديث للطباعة والنشر.
2. ابن شمس الدين، رمضان 1368هـ.ش، قصيدة فلسطين، المجلد السادس والثلاثون، الجزء السابع.
3. بسيسو، عبدالرحمن، 1983م، إستلهام ينبوع. المآثرات الشعبيّة وأثرها في البناء الفني للرواية الفلسطينية الإتحاد العام للكتّاب والصحفيين الفلسطينيين، ط 1، مصر، القاهرة: مؤسسة سنابل للنشر والتوزيع.
4. الجندي، إبراهيم رضوان، جمادي الأول 1409هـ، الطفل الفلسطيني في ظل الإحتلال الصهيوني، مجلة شؤون عربية، العدد 56.
5. الحيلة أحمد والعتاني مريم، 2008م، معاناة الطفل الفلسطيني تحت الإحتلال الإسرائيلي (أولست إنساناً)، ج 3، لبنان، بيروت: مركز الزيتونة للدراسات والإستشارات.
6. حسن، خليل، شوال 1430هـ، جرائم إسرائيل في غزّة وتداعياتها القانونية والسياسية، مجلة شؤون الأوسط، العدد 131.
7. حسن، محمد عبدالعزيز، ذي القعدة 1384هـ.ش، فلسطين، السنة الثانية والعشرون، العدد 11.
8. الخميني، روح الله، 1279م/1368هـ.ش، الصحيفة، ج 10، ايران، تهران: مؤسسة النشر والتوزيع لمنشورات الإمام الخميني (قدس سرّه).
9. الريحاني، أمين، 1956م، القوميات، ج 2، لبنان، بيروت: دارالريحاني.

10. الراهب، هاني، ذوالقعدة 1387 هـ.ش، الإستعمار الصهيوني في فلسطين، العدد 72.
11. الزرو، نواف، تشرين أول 2017م، المرأة الفلسطينية في النضال وفي معتقلات الأحتلال: أدب أسري، مجلة الميادين.
12. سويد، أحمد، 1988م، أمين الريحاني، لبنان، بيروت: دارالعلم للملادين.
13. السيد، محمود، لا تا، تجليات المقاومة في الشعر العربي المعاصر، لا مك، لا نا.
14. الشعلان، سناء، 2018م، أدركها النسيان: حكاية امرأة أنقذها النسيان من التذكّر، ط 1، عمان، أردن: أمواج للنشر والتوزيع.
15. علي، ياسر، 2009م، المجازر الإسرائيلية بحق الشعب الفلسطيني (أولست إنساناً؟)، تحرير: د. محسن صالح ومريم العيتاني، ج 5، ط 1، لبنان، بيروت: مركز الزيتونة للدراسات والإستشارات.
16. عنقوي، حلمي إواهم محمد، 1995م، المراحل الأولى للمسيرة خلف القضبان، رام الله، مصر، القاهرة: مطبعة الغد الإسكندرية.
17. عودة الله، خالد، 2006م، النقد والثورة: دراسة في النقد الإجتماعي عند علي شريعتي: قدّمت هذه الرسالة إستكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير في علم الإجتماع من كلية الدراسات العليا في جامعة بيرزيت، فلسطين، الأستاذة المشرفة: ليزا تراكي.
18. غفاري فر، حسن، شتاء عام 1387 هـ.ش، جولات السلام المفروض لطمس الهوية الفلسطينية تدريجاً (1978-2007م)، السنة الحادية عشرة، العدد الرابع والأربعون.

19. القوان.
20. قاسم، محمد أمين، 1996م، الشاعر القروي: الأعمال الكاملة للنثر، ليبيا، طرابلس: منشورات جروس برس.
21. كيانى رضا ومعروف، يحيى، 1433هـ/ق/2012م، ملامح المقاومة في شعر قيصر أمين بور وعزالدين المناصرة، مجلة العلوم الإنسانية الدولية، عدد 19.
22. لانغر، فليتسيا، 1986م، عصر الحجارة، لا مك، منشورات دار الأسوار.
23. محسن، ناهض محمود إبراهيم، 2005م، شخصيّة الإسلاميّة في الشعر الفلسطيني(قدّمت هذه الدراسة إستكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في الأدب والنقد، الجامعة الإسلاميّة-غزّة، كلية الآداب -قسم اللغة العربيّة.
24. مونتاي، فنان، اكتوبر ونوفمبر و ديسمبر 1976م، شواهد على عنصرية إسرائيل، السنة الرابعة والعشرون، العدد 10-11-12.
25. المالكي مجدي، ولدادوة حسن، لا تا، تحولات المجتمع الفلسطيني منذ سنة 1948 جدليّة الفقدان وتحديات البقاء، لبنان، بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية.
26. مصالحة، نورالدين، 1992م، طرد الفلسطينيين: مفهوم الترانسفير في الفكر والتخطيط الصهيوني "1882-1948م"، لبنان، بيروت، مؤسسة الدراسات الفلسطينية.
27. مكّي، دينا هاتف، لا تا، المواطنة العربيّة في إسرائيل، المجلة الساسيّة الدوليّة.
28. الهندي، خالد، 2000م، التجربة الديمقراطيّة للحركة الفلسطينيّة الأسيرة، ط 1، فلسطين، رام الله: مواطن، ، المؤسسة الفلسطينيّة لدراسة الديمقراطيّة.

29. نص روما الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية المعتمد في روما،
17 تموز/يوليه 1998م، موقع اللجنة الدولية للصليب الأحمر.
30. قرارات وتوصيات المكتب الدائم لإتحاد محامين العرب المنعقد بالجزائر،
السنة التاسعة والأربعون، نوفمبر 1969م، العدد 9.
31. المقتطف، حب الوطن، الجزء الخامس، إشباط(فبراير) 1890م، سنة الرابعة
عشرة.